

تفسير قوله تعالى: **وَادْكُرُوا إِيَّادُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ**

..... ثم إن نبي الله هوذا قال هنا لقومه ما لم يقله نوح لقومه وهو قوله: { **وَادْكُرُوا إِيَّادُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ** } { **وَادْكُرُوا** } نعم الله عليكم { **إِيَّادُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ** } في الأرض؛ يعني بأن أهلك قوم نوح واستخلفكم في الأرض، فجعلكم خلفاء في الأرض آمنين فيها، عليكم نعم الله مسيلة. والخلفاء جمع خليفة، وهو من يستخلف بعد من كان قبله. قال بعض العلماء: إنما قيل لهم خلفاء؛ لأنهم صاروا خلفا من قوم نوح؛ حيث أهلك الله أولئك وأسكن هؤلاء في الأرض بعدهم فكانوا خلفا من بعدهم، وخلفاء من بعدهم. وقال بعضهم: إنهم خلفاء؛ أي فيهم ملوك، والعرب تسمى الخليفة الذي يكون ملكا بعد من قبله خليفة. ولفظه مؤنث ومعناه مذكر؛ فيجوز تكبير الضمائر الراجعة عليه نظرا إلى المعنى، ويجوز تأنيثها؛ كما قال الشاعر: أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال ومعنى { **وَادْكُرُوا إِيَّادُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ** } الخلفاء جمع الخليفة، لأنه جعلهم خلفا منهم يسكنون الأرض، أو جعلهم ملوك الأرض. يزعم أصحاب القصص والأخبار أنهم كان عددهم كثيرا جدا، وأنهم منتشرون فيما بين حضرموت إلى عمان وأنهم كانوا يظلمون غيرهم، ويقهرونهم لما أعطاهم الله من القوة، ولكن الله بين أن منازلهم كانت بالأحقاف؛ حيث قال في سورة الأحقاف { **وَادْكُرْ آخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ** } . وقد بينا أن الأحقاف جمع حقف، والحقف في لغة العرب الحبل من الرمل، الرمل المرتفع تسميه العرب حقفا، فالأحقاف الرمال، والمفسرون يقولون: إنها رمال في جوانب اليمن؛ أعني في جوانب اليمن وحضرموت وأنهم كانوا في تلك الرمال بينها أودية يزرعون فيها ويعيشون. وسبأتي في سورة الفجر قول من قال من العلماء: أنهم كانوا رجلا يذهبون بالمواشي، لأنه أحد القولين في قوله: { **إِرْمَ دَاتِ الْعِمَادِ** } لأن أحد القولين في معنى { **دَاتِ الْعِمَادِ** } أنهم أصحاب عمود يرتحلون وبينون خيمهم على العمد؛ ولذا قيل لهم: { **دَاتِ الْعِمَادِ** } على أحد الوجهين. والوجه الثاني: أنهم لقوة أجسامهم وعظمتها وطولها وبدانتها قيل فيهم: { **دَاتِ الْعِمَادِ** } لشدة اعتماد أجسامهم وقوتها كما يأتي هناك. وهذا معنى قوله: { **وَادْكُرُوا إِيَّادُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ** } ؛ أي في الأرض في عافية وطمأنينة ورفاهية من الدنيا. { **مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ** } والآية تشير إلى تهديد؛ يعني كما أن قوم نوح لما كذبوا نوحا دمرهم الله وأهلكهم وجعلكم خلفاء في الأرض من بعدهم، فاحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم، ليلا يهلككم، ويجعل خلفاء الأرض بعدكم غيركم. فيه تهديد وتذكير بالنعمة، وهذا معنى قوله: { **وَادْكُرُوا إِيَّادُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ** } في الأرض. وبعض علماء العربية يقولون: { **إِيَّادُ** } هاهنا مفعول به لا مفعول فيه؛ أعني أنها مفعولا وليست ظرفا، والمعنى { **وَادْكُرُوا** } ؛ أي تذكروا الوقت الذي جعلكم فيه { **خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ** } تذكرا يحملكم على شكر نعمة الله والخوف من نقمه أن ينزل بكم مثل ما أنزل بقوم نوح. وهذا معنى قوله: { **إِيَّادُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ** } الذين أهلكهم الطوفان إهلاكا مستأصلا.